Received: 19/11/2021 Accepted: 9/12/2021 Published: 2021

المنهج الجغرافي في ضوء علم اللغة الحديث

أ.م.د. أوراس عبد الحسين عبد الله
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الأساسية / قسم التربية الإسلامية
aoras80@yahoo.com

مستخلص البحث:
لا مراء في أن مناهج البحث اللغوي تبدَّت متجلية عن الدرس اللغوي الحديث, فالدارس اللغوي يسترشد آثاره على وفق المنهج الذي تظفر دراسة اللغة في ضوئه, ويستحكم الدارس اللغوي في أن يسبر غور المنهج بحسب طبيعة الظاهرة الإنسانية , ويعضده أن المنهج المنتظم لدى الباحث في التحصيل اللغوي يقتضي أن يغدو مُقْتَبَساً من الطبيعة اللغوية , ومُوَائِماً المقصد الذي توخَّاه بغية الدراسة . ومن العلوم التي نبعت من علم اللغة العام انْهَلَّ علم اللغة الجغرافي , صِنْوُهُ في هذا علوم الاجتماع والنفس والتشريح وسائر نظائرها , فيُفْضِي إلى حداثة العلوم اللغوية , ورصانة الدراسة التطبيقية الفعلية , ولا مناص من أن الحركة الأزليَّة للطبيعة اللغوية عكفت على مطالبه ومباحثه بالتبدُّل الدائب , والانتياب لأنماط وفيرة من الضغوط , من هنا كان علم اللغة الجغرافي موضوع دراسة هذا البحث الموسوم بعنوان ((المنهج الجغرافي في ضوء علم اللغة الحديث)) .
الكلمات المفتاحية: المنهج , الجغرافي , علم اللغة .

مستخلص البحث:

الحمد لله رب العالمين, والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين , وآله الطيبين الطاهرين , وصحبه الغر المنتجبين.

أما بعد ... فإن من أبرز ما أسفر عنه الدرس اللغوي الحديث مناهج البحث اللغوي , فالمنهج الذي تصحُّ دراسة اللغة في ضوئه , ويمكن لدراسة اللغة أن يخطوه في موافقة طبيعة الظاهرة الإنسانية , أمرٌ يصحُّ له هذا الدرس وتستقيم نتائجه . ودارس اللغة ينبغي أن يكون منهجه المتبع في بحث اللغة مستمداً من طبيعة اللغة, وملائماً الغرض الذي قصده من دراسته , فتعدد الأغراض التي دعت إلى دراسة اللغات أسفرت عن تعدد مناهج البحث اللغوي , وتباين اتجاهاته , مما كان لكل منهج غرض يكون الوسيلة المثلى لتحقيقه , وبحسب اختلاف الأهداف التي يتوخَّاها الباحث في دراسته للغة تباينت مناهج البحث اللغوي وتفاوتت. ويعدُّ علم اللغة الجغرافي أحد العلوم التي لها صلة وثيقة بعلم اللغة , كعلم الاجتماع وعلم النفس وعلم التشريح وعلم وظائف الأعضاء وعلم الطبيعة , وهو من أحدث العلوم اللغوية , ومن أبرز الدراسات التطبيقية العملية لعلم اللغة , وإن موضوع دراسته ومباحثه تتغير باستمرار , وتتعرض لأنواع كثيرة من الضغوط والتغييرات , تبعاً لتغير طبيعة اللغة التي تجعلها في حركة دائمة. ومن هنا كان علم اللغة الجغرافي موضوع دراسة هذا البحث , إذْ ركَّزت فيه على الجوانب الأكثر موضوعية واتصالاً بالحقائق في علم اللغة الجغرافي , فضلاً عن منهج بحثة وإجراءات دراسته. وقد اقتضى البحث أن يستقيم في مقدمة وأربعة مطالب وخاتمة . فتضمنت المقدمة القول عن الموضوع والمنهج المنتظم في الدراسة , واتَّسقت المطالب الأربعة على النحو الآتي :

المطلب الأول : التعريف بعلم اللغة الجغرافي : عُنِيْتُ فيه بإثبات مفهوم علم اللغة الجغرافي , وفكرة الجغرافيا اللغوية لدى اللغويين العرب القدامى , واقتباس علم اللغة طريق علم الجغرافيا , والخرائط اللغوية المبينة لمعالم اللهجات المتنوعة الواقعة في حدودها اللغوية , ومحاولات الباحثين والعلماء في هذا المجال.

المطلب الثاني: وظيفة علم اللغة الجغرافي: عَمَدْتُ فيه إلى إجلاء وظيفة علم اللغة الجغرافي , المتمثلة بدراسة لغات العالم اليوم , وإظهار علاقاتها الجغرافية, وتوزيعها على خريطة العالم , وبيان أهمية كل من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية .

المطلب الثالث: مصطلحات علم اللغة الجغرافي : حَفَلْتُ فيه بإيراد المصطلحات التي أسفر عنها علم اللغة الجغرافي , وبيان مفهومها وطريقة تولُّدها وإطلاقها على اللغات المتكلمة في أنحاء العالم جميعها , وأنواع المتكلمين بها .

المطلب الرابع: الأطلس اللغوي : رَمَيْتُ فيه إلى إبراز فكرة الأطلس اللغوي , وبيان المقصود منه , وإيضاح فصائل اللغات التي يُعنى بتوزيعها جغرافياً على الكرة الأرضية , وطريقة إعداده , والطريقة المتبعة في عمله , وأبرز مزاياه وعيوبه .

واندرجت الخاتمة بالنتائج والخلاصات التي أفضت إليها دراسة البحث .

وبعد ... أتمنى على الله أني أنجزت هذا العمل بأبهى صورة , فإن توسَّط باحة الصواب فلله المنة والفضل , وإن كان الآخر فحسبي أني ادَّخرت وسعاً .

المطلب الأول : التعريف بعلم اللغة الجغرافي :

إن الدراسات اللغوية الحديثة تعنى أتم العناية بدراسة الكلام المنطوق , سواء أكان لغة عامة يتحدث بها مجموع المواطنين في أمة من الأمم , كالعربية في الوطن العربي , أم كان لهجة ينطقها سكان قطر أو مدينة أو قرية معينة في هذا الوطن , كعامية القاهرة , أم كان لغة خاصة ببعض الطوائف , أو الحرف والصناعات[1]. ويحاول الباحثون في علم اللغة أن يتابعوا هذه المستويات اللغوية , في وجودها , وتطورها, وذلك بدراساتهم للأصوات , والمفردات , والمعاني , وطرق الاشتقاق , والتراكيب وطرق بنائها[2]. غير أن الظواهر اللغوية لا تطرد على نسق واحد في المجال اللغوي , بل قد تعتري الصورة الأصلية (المفترضة) بعض الانحرافات الفردية , التي تتطور لتصبح أحياناً تقليدياً اجتماعياً , يفرض على اللغة وضعاً جديداً , في نطاق الجماعة اللغوية التي تعيش في صعيد مشترك[3]. ومن الواجب أن يقوم البحث اللغوي بدراسة هذا التطور دراسة تنظيمية وتحليلية , تقيس مداه , وتحدد تأثيره , وتبين أهميته في نمو اللهجة أو انحطاطها , والخطوة الأولى لهذا الغرض هي محاولة تحديد أبعاد الظاهرة اللغوية , تحديداً جغرافياً , قبل إجراء أية دراسة من هذا القبيل , فليست الظواهر اللغوية طليقة بلا حدود , إنما هي خاضعة دائماً لعامل الزمان والمكان , وهذا المعامل ذو تأثير كبير على وجود الظاهرة , وعلى تطورها , تماماً كتأثير المعامل الاجتماعي[4].

ومن أبرز الدراسات التطبيقية العملية لعلم اللغة معرفة اللغات الإنسانية وتوزيعها على أجزاء الكرة الأرضية , والعلم بعدد المتكلمين بكل منها , ونوع من يتكلمون بها , وفي أي نمط من الحياة يمكن أن تستعمل , وكيف يمكن أن تتراجع لغة أمام لغات أخرى , بخاصة ما كان منها مشهوراً وراء هذه المعلومات ذات الطابع العام , هنا يكمن السؤال الخاص بالتعرف اللغوي , وهذا يتطلب معرفة أولية بأشكال اللغات في صورتها المكتوبة , وكذلك بمعالمها الصوتية الأساسية في صورتها المتكلمة , حتى يمكن تمييز كل منها من الأخرى بوساطة التعرف المسبق[5]. إن معلومات تفصيلية من هذا النوع تمثل جزءاً من أسلحة المتخصصين اللغويين وخبراتهم , فضلاً عن ذلك فإن الحقائق المؤكدة الخاصة بتوزيع اللغات في العالم والأهمية النسبية للغات الرئيسة منها , يمكن أن تجعلا معروفتين لكل الأفراد المثقفين أو المتعلمين حتى من لم يتخصص منهم في الدراسات اللغوية , وهذا القدر من المعلومات الذي يعد ذا أهمية عملية كبيرة لغير المتخصصين , أكثر من أهميته للغويين الوصفيين أو التاريخيين[6].

ونجد فكرة الجغرافيا اللغوية لدى اللغويين العرب القدامى , لكنها كانت آنذاك غائمة , وذلك حين يأخذونهم رواية اللغة عن الأعراب في البوادي , فينسبون ما يروونه إلى قائله , وقبيلته . وحين يضعون هذا المروي في مقابل ما يروونه من المستوى نفسه عن بدوي آخر , من قبيلة أخرى , يميزون في رواياتهم بين بعض القبائل التي يصفونها بالفصاحة , وهي قبائل شمالي الجزيرة ووسطها وشرقيها , في مقابل قبائل الحدود والتخوم , التي يرون أن لغاتها تأشّبت (أي فسدت) , بتأثير القبائل المجاورة, فقبائل اليمن متأثرة بلغة الحبشة , وقبائل لخم وجذام متأثرة بمصر واللغة القبطية , وقبائل الغساسنة أو المناذرة متأثرة بمجاوريها من الفرس والرومان[7]. وهكذا نجد أن فكرة وضع الحدود بين اللهجات وقبائلها ليست محدثة كما يظن بعض الدارسين , إنما هي قديمة , قدم البحث اللغوي العربي , غير أنها كانت غائمة , لأنها لم تأخذ صورة علمية صارمة تهتم بمحاولة وضع منهج للباحثين اللغويين, كما تهتم بمحاولة رسم خرائط مفصلة عن وجود الظواهر وانتشارها , وهي خرائط تؤدي في نهاية الأمر إلى تكوين الأطلس اللغوي , الخاص بلهجة أو مجموعة لهجات , أو بلغة , أو مجموعة لغات[8]. اقتبس علم اللغة منذ أكثر من نصف قرن مضى طرق علم الجغرافيا , ليضع حدوداً لغوية للهجات المتنوعة في خرائط تبين معالم كل لهجة , وتفرق بين لهجة وأخرى , ولا تختلف هذه الخرائط عن خرائط الجغرافيا , إلا في أن ما يدون عليها ظواهر لغوية , تطلع القارئ على أدق الفروق في الأصوات والمفردات , بين اللغات المتنوعة , واللهجات المتباينة[9].

وتطلعنا هذه الخرائط على الاختلافات الصوتية بين المناطق المتعددة , فقوم يجهرون أصواتاً وقوم يهمسونها , وطائفة تنطق الفتحة صريحة , وأخرى تنطقها ممالة, ولهجة تنبر الكلمة في مقطعها الأول , وأخرى تنبر المقطع الأخير منها . كذلك يبرز في هذه الخرائط الدرس الواسع للمفردات , من جهة البنية والمترادفات المتنوعة للمعنى الواحد واختلاف الألفاظ باختلاف المناطق اللغوية , ومقدار انتشار الكلمات في الأقطار والأقاليم وغير ذلك , مما يتيح لنا معرفة الواقع اللغوي للغة من اللغات , سواء أكانت لغات فصحى أم مشتركة أم خاصة , أم لجهات اجتماعية , أم إقليمية , أم عاميات خاصة[10]. هذه الدراسة الجغرافية اللغوية تعد من أحدث وسائل البحث في علم اللغة , ولها وظيفة ذات أثر بالغ في الدراسات اللغوية في العصر الحديث , لأنها تسجل الواقع اللغوي للغات أو اللهجات , على خرائط يجمعها آخر الأمر أطلس لغوي عام. وتختص كل خريطة بكلمة , أو ظاهرة صوتية معينة , يبدو فيها الاتفاق , أو الاختلاف بين المناطق اللغوية المتعددة , ومما لا شك فيه أن هناك تشابهاً بين لهجة إقليمية وأخرى , أو بين لهجتين اجتماعيتين أو بين عاميات خاصة , ما دامت هذه جميعاً ترجع إلى أصل لغوي واحد[11]. وقد تعددت محاولات الباحثين والعلماء في هذا المجال , إلى أن جاء سوسير ليحدثنا عما سمَّاه بعلم اللغة الجغرافي , وهو العلم الذي يدرس العلاقة بين الظاهرة اللغوية ومجال انتشارها , أي أنه يترك علم اللغة الداخلي , ليدرس علم اللغة الخارجي[12].

وهو يقرر في بدء دراسته لهذه المشكلة أنه إذا كانت الاختلافات اللغوية تخفى عن أعين الباحثين في نطاق الزمان , فإن هذه الاختلافات تقفز إلى عين المرء بحسب المكان , مهما كان ضئيل الحظ من الثقافة , بل إن البدائيين أنفسهم يدركون ذلك حين يتصلون بالآخرين , من القبائل المجاورة التي تتحدث بلسان آخر, وبفضل هذه الموازنة يدرك أي شعب مثله المختار في اللغة[13].

ويستطرد سوسير فيقدم لنا دراسة عميقة عن (تنوع اللغات واختلافها), وعن (تعقد الاختلافات الجغرافية) , وهو في هذا الفصل يدرس قضية تعايش لغات كثيرة في مكان واحد , وقضية اللغة الأدبية واللهجة المحلية , ثم يدرس في فصل مستقل عوامل الاختلاف الجغرافي , وأثر الزمن في هذا الاختلاف, وتأثيره كذلك في الرقعة الجغرافية , ثم يمضي إلى أن يقرر أن اللهجات ليست لها حدود طبيعية , بل إن هناك تداخلاً في هذه الحدود , وهو شأن اللغات أيضاً[14].

وجاء من بعده تلميذه اللغوي الكبير أنطوان مييه ليقدم لنا قواعد المنهج الذي ينبغي اتباعه عند اللجوء الى هذا المستوى من البحث في اللغة , من وجهة النظر الفرنسية , كذلك قدم لنا أنموذجات من التطبيق العلمي لمنهجه , وبذلك استقرت قواعد المنهج المقارن في هذا الجانب البارز من الدراسة باسم (الجغرافيا اللغوية)[15].

المطلب الثاني : وظيفية علم اللغة الجغرافي :

إن علم اللغة الوصفي يتخصص أساساً بدراسة اللغة من الناحية التجريدية , بوصف لغات معينة من النواحي الفونيمية والصرفية والنحوية والمعجمية , أما علم اللغة التاريخي فيعالج تطور اللغة أو اللغات , وإعادة بناء اللغات الأم المفترضة على أساس الدراسة الموازنة للملامح الموجودة في اللغات المتفرعة عنها , ولا واحد من هذين الفرعين التقليديين تعد من وظيفته الأساسية دراسة لغات العالم اليوم , وعلاقاتها الجغرافية , وتوزيعها على خريطة العالم , وبيان أهمية كل من النواحي السياسية والاقتصادية والثقافية[16]. وقد نالت هذه المشكلات شيئاً ضئيلاً من الاهتمام حين عولجت في بعض الكتيبات الحديثة من خلال تناولها بعض المسائل اللغوية التاريخية أو الوصفية . إن صفحات قليلة قد خصصت لبيان عدد المتكلمين اليوم بكل لغة , ودراسة توزيع اللغات في العالم . وأحياناً ما تجد المعلومات عن هذا الموضوع موزعة في فصول متعددة من الكتاب كأنها شيء عرضي أو ثانوي لتركيب اللغة نفسها , أو تطورها التاريخي . ونادراً ما يشار إلى تلك الملامح والسمات ذات الأهمية العلمية الكبرى , ليس فقط فيما يخصُّ اللغويين المتخصصين , ولكن أيضاً فيما يخصُّ الشخص المتعلم العادي , وإن موضوع علم اللغة الجغرافي نادراً إن لم يكن معدوداً ما يعالج في منهج دراسي عادي في مرحلة الدراسة العالية أو الجامعية , التي تتناول اللغات معزولاً بعضها عن بعض , ولا تلقي بالاً إلى غير القواعد النحوية والقضايا الأدبية . ومن أجل هذا فإن الشخص المتعلم العادي كثيراً ما يخرج من دراسته العالية إما بتصور خاطئ أو مبالغ فيه عن أهمية لغة أو أكثر من اللغات الأجنبية التي درسها, وإما بجهل فاضح بالأثر الذي تبرزه لغات أخرى متنوعة في عالمنا اليوم[17].

ويطلق بعض الباحثين على المنهج الجغرافي في دراسة اللغة مصطلح (الجغرافية اللغوية) أو (علم اللهجات) , ويراه فرعاً من فروع علم اللغة , يُعنى بتحليل التنوعات ووصفها , المحلية أو الاجتماعية أو الزمنية للغة معينة , مبيناً كيف تختلف هذه التنوعات في النطق أو في القواعد (صرفية أو نحوية) أو في المعجم , وكيف تتوزع هذه التنوعات الجغرافية[18]. إن وظيفة علم اللغة الجغرافي أن يصف بطريقة علمية وموضوعية توزيع اللغات في مناطق العالم المتعددة ليوضح أهميتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والاستراتيجية والثقافية , وأن يدرس طرق تفاعل اللغات بعضها مع بعض , وطريقة تأثير العامل اللغوي في تطور الثقافة والفكر الوطنيين[19]. إن علم اللغة الجغرافي يتناول إلى جانب النتاج الحديث حاصل العوامل والأحداث التاريخية , ومن أجل هذا فهو وثيق الصلة بعلم اللغة التاريخي , ومظاهر تطبيقه الحديثة تبدو وصفية جغرافية اجتماعية . وإن أية لغة تمتلك عدداً معيناً من المتكلمين قَلَّ أو كَثُرَ , وتتوزع في مناطق متعددة من العالم ضاقت أو اتسعت . وإنها تستعمل في مجال الإنتاج أو تسويق البضائع وخلق القيم الثقافية , وهي تحمل نفوذاً سياسياً وعسكرياً في مناطق معينة , هذه العوامل تبرز القيمة العملية للغة , وتجعل منها موضوعاً واسعاً للدراسة . وهنالك مجالات أخرى ثانوية لهذا الفرع , مثل دراسة استعمال اللغة في الطقوس , أو أغراض دينية أخرى , ودراسة حالات فرضها على البلاد المستعمرة , أو التي كانت مستعمرة , وإمكان تغلبها على اللغات الاصلية , أو إحلالها محلها في مناطق متاخمة[20]. إن المعلومات التي يقدمها هذا المنهج على جانب كبير من الأهمية للغويين المتخصصين وغيرهم , إذْ إن من الأهمية بمكان للمتعلم الجامعي أن يعرف أن البرتغالية تتكلم في البرازيل , وأن الألمانية والروسية أكثر من الإنجليزية والفرنسية يمكن أن تستعملا

الآن بوصفهما لغتين بديلتين في المجر وتشيكوسلوفاكيا . هذه المعلومات ذات طابع عملي , بيد أن لهذا العلم أيضاً طابعاً علمياً , إذْ إنه يتناول لغات المناطق المتنوعة على وجه الأرض , وكيف يمكن الإفادة منها , أو إحلال غيرها محلها , وماذا تمثل من وجهة النظر العملية للرجل العسكري أو الموظف الحكومي أو الباحث العلمي والفني والمبشر وقوات الأمن الدولية , ولسرعة تحرك هذه الطبقات ونحوها , فإنه لا يكفي أن يعرف الفرد منهم معلومات سريعة عن لغات منطقة معينة , إذْ إنهم يجب أن يلقنوا معلومات عن لغات مناطق أخرى ربما تعرضوا للانتقال المفاجئ إليها . وأبرز من هذا ضرورة إعداد دراسات مفصلة وعمل إحصاءات عن اللغات والأمية والمركز التعليمي لمناطق العالم المتعددة , كذلك إعداد علماء لغة جغرافيين مدربين يمكنهم أن يسايروا التطورات السريعة المتوقعة في هذا الحقل , وهذه المعلومات أكثر فنية مما قد يبدو للنظرة السطحية[21].

المطلب الثالث : مصطلحات علم اللغة الجغرافي :

إن المنهج الجغرافي أو علم اللغة الجغرافي قد أسفر عن مصطلحات كثيرة , من أبرزها ما يعرف بـــ (اللغة الأهلية) أو (البلدية) ويراد به اللسان المتكلم الشائع الاستعمال في منطقة معينة . كذلك مصطلحا (اللغة الأولى) و(اللغة الرسمية) , فأما اللغة الأولى فهي اللغة الشائعة الاستعمال بين أفراد الأمة جميعها مثل اللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية , أو التي تحاول الحكومة الوطنية أن تجعلها كذلك مثل اللغة الهندية في الهند , أو التالوغية في الفلبين , إذْ كل منهما في الحقيقة لغة لفريق من المواطنين , لكن الحكومة تحاول أن تفرضها على سائر أفراد الشعب . وأما اللغة الرسمية فهي التي تستعمل في الوثائق الرسمية والمقابلات في المستوى الحكومي فالألمانية والفرنسية والإيطالية تعد لغات رسمية في سويسرا , والفرنسية والفلمنكية في بلجيكا , والإنجليزية والأفريكانية في جنوب أفريقيا , والفرنسية والإنجليزية في كندا . واللغة الرسمية ليست بالضرورة اللغة الأهلية للمنطقة بأسرها , بل ربما لم تكن لغة أهلية على الإطلاق , فالأردية في شرقي باكستان كانت اللغة الرسمية الثانية , لكن البنجالية هي اللغة الأهلية والأردية هي اللغة الأهلية في غربي باكستان , ونتيجة لفتن أهلية أصبحت البنجالية لغة رسمية بالاشتراك مع الأردية[22]. ومن مصطلحات هذا المنهج (اللغة الاستعمارية) التي خلقها استعمار القرون الماضية , وتطلق على اللغات الرسمية الأساسية في المناطق المتعددة لقوات استعمارية , وبهذا أصبحت الإنجليزية اللغة الاستعمارية والرسمية في الهند فارضة نفسها على اللغات الأهلية المتنوعة , وتظل اللغة الاستعمارية المفروضة حيَّة حتى بعد اختفاء القوة الاستعمارية , وكثيراً ما تظل لغة رسمية , أو واحدة من اللغات الرسمية للبلد الحديث الاستقلال , ومن أمثلة ذلك اللغة الإنجليزية في نيجيريا وغانا واللغة الفرنسية في الأمم الجديدة التي خرجت عن الوصايا الفرنسية[23]. ومن مصطلحات المنهج الجغرافي (الإحلال اللغوي) ويكون حين تصبح لغة المستعمر لغة رسمية وربما لغة وطنية أو أهلية , وقد حدث هذا للغة الإنجليزية في أمريكا الشمالية وأستراليا ونيوزيلندا , واللغة الفرنسية في الأقاليم الكندية بمنطقة كويبك, واللغتين الإسبانية والبرتغالية جنوبي ريوجراند , وحينئذ فإن اللغات الأهلية الأصلية ربما تميل إلى الاختفاء , وربما عاشت في حالة وجود سلمي أو تكاملي مع اللغات الجديدة . وقليلاً ما يحدث أن تندمج اللغتان في لغة واحدة على أساس متعادل , وربما تنتج عن ذلك لغة مشتركة مبسطة , لكن مع خضوع ملحوظ للعادات الكلامية للسكان الأصليين . وربما كانت عملية التوصل إلى لغة مشتركة مبسطة تسير ببطء شديد كما حدث مع لغة الأفريكانيين في جنوبي أفريقيا التي لا تزال أساساً[24]. ومن مصطلحات هذا المنهج ما يعرف بـــ(اللغة المقدسة) وتطلق عادة على اللغات التي تستعمل في الطقوس الدينية مثل اللغة اللاتينية في المناطق الكاثوليكية الرومانية , ومثل هذه اللغة تؤثر بعمق في اللغة المتكلمة بهذه المنطقة , إذْ يظهر أثرها في شكل كلمات وصيغ وتعبيرات , واللغة العربية بوصفها لغة القرآن المقدسة تتكلم وتفهم على

شكل واسع في البلاد المسلمة التي لا تتكلم اللغة العربية مثل إيران وباكستان[25]. وقد تبرز لغة ما وتتفوق نتيجة لقيمتها الثقافية , ولهذا نجدها تدرس في بلاد لا تتخذها لغة بلدية , ومن هذه اللغات الفرنسية التي اكتسبت مكانة في كثير من مناطق العالم بوصفها لغة ذات ثقافة عامة , ولغة دبلوماسية , وعلى الرغم من أنها انتشرت بعض الوقت بفضل النفوذ السياسي , غير أن مكانتها اليوم ثقافية محضة[26]. ومن مصطلحات هذا المنهج (التوزيع اللغوي) , ويستعمل عند الحديث عن طريق انتشار لغة ما في مناطق متعددة من العالم . فالإنجليزية والفرنسية لغتان من أوسع اللغات انتشاراً , والإسبانية والبرتغالية والعربية والألمانية على درجة أقل من الانتشار. أما الروسية التي كانت يوماً ما مقصورة على ما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي فإنها تحاول الآن أن توسع انتشارها في أوربا الشرقية . وأما الإيطالية والصينية والهندستانية والبنغالية والإندونيسية واليابانية فإنها لغات مقيدة إلى حد كبير بمنطاقها المحلية[27]. ومن مصطلحات المنهج الجغرافي في دراسة اللغة ما يعرف بـــ(ثنائية اللغة) أو (ثلاثية اللغة) أو (تعدد اللغة) وهي مصطلحات تصف حالات معينة , حينما يتكلم فرد أو مجموعة ما لغتين أو أكثر على درجة واحدة تقريباً . ولا بد من التنبيه هنا على حقيقة أكدها المنهج الجغرافي , وهي أن ثنائية اللغة من السهل تحقيقها حينما تكون اللغتان مستعملتين جنباً إلى جنب منذ الطفولة المبكرة , بشرط أن تستمرا إلى مدة متأخرة . وما يقال من أن ثنائية اللغة أو ثلاثيتها تلحق الضرر بالتطور النفسي للفرد فدعوى لا دليل عليها , كذلك لا دليل على الدعوى الأخرى في أن الثنائية تعيق التمكن من إحدى اللغتين أو كلتيهما , إذْ إن التمكن من أية لغة يتوقف على الفرد وليس على عدد اللغات المراد تعلمها , فالشخص الذي يتكلم بطريقة ناقصة سوف يتكلم لغة واحدة بالطريقة الناقصة نفسها[28]. وهناك مصطلح (اللغات الصناعية) المؤلفة للاستعمال العالمي مثل (الإسبرانتو) وهذه اللغات كثيراً ما توصف بأنها مركبة أو صناعية , إشارة إلى أنها من صنع عقل إنساني فردي , وليست نتيجة نمو طبيعي عفوي . ومصطلح (لغة دولية) و(لغة عالمية) وفيه إشارة إلى الوظيفة المرجوة للغة. و(لغة مساعدة) للإشارة إلى أنها لم يقصد بها أن تحل محل لغة موجودة بالفعل , إنما تساعد فقط . و(لغة وسيطة) للإشارة الى وظيفتها بوصفها وسيطاً بين المتكلمين بلغات طبيعية متنوعة[29]. ومما يتردد في مباحث المنهج الجغرافي من مصطلحات ما يسمى بـــ(التعرف اللغوي) وهو أن يلم عالم اللغة الجغرافي بنظم الكتابة المعروفة في أنحاء العالم جميعها , بهدف القيام بعملية التعرف اللغوي , فالبلاد الغربية بوجه عالم تستعمل الأبجدية الرومانية لكن بدرجة ملحوظة من التنوع من لغة إلى لغة قوامها زيادة رموز إضافية, وأشكال كتابية خاصة , تختلف من لغة إلى لغة , وكثيراً ما تكون وحدها كافية لتعرف اللغة حين ينظر إلى صيغتها المكتوبة[30].

المطلب الرابع : الأطلس اللغوي :

يقصد بالأطلس اللغوي أنه مجموعة من الخرائط واللوحات توضح التوزيع الجغرافي للخصائص الصوتية أو الصرفية أو النحوية أو المعجمية للغة أو لهجة أو كلتيهما , ويجمع مادته باحثون مدربون تدريباً ميدانياً من رواة مختارين بعناية من بين المتحدثين باللغة أو اللهجة المدروسة , من خلال الأحاديث العادية أو الإجابة عن أسئلة أو الاستعانة بأشرطة التسجيل , ثم تسجل هذه البيانات على خرائط وتنشر في كتاب[31]. وقد يُعنى الأطلس اللغوي بلغات متعددة فيتولى توزيع اللغات والفصائل توزيعاً جغرافياً على منطقة أو أكثر من الكرة الارضية , وقد يكون أطلس لهجات يُعنى بتوزيع الظواهر اللهجية للغة معينة في منطقة معينة[32]. كان إعداد الأطالس اللغوية أسبق في الوجود من أغلب الإنجازات الوصفية الحديثة, وهو يعتمد على مفردات اللغة التي تعد في نظر الوصفيين في الدرجة الثانية من الأهمية , لكنه اتبع منهجاً يمكن أن يوصف في الأقل بأنه وصفي , وأنه خير مثل للعمل اللغوي تحت ظروف البيئة المعينة . وعلى الرغم من أن هذا العمل قد بدأ أساساً على يد

اللغويين التاريخيين لأغراض تاريخية في أغلبها , غير أنه قد وضع الأساس لأنموذج الدراسة الوصفية العملية في مجال البحث اللغوي[33]. إن الأطلس اللغوي قد أُعِدَّ أساساً ليكون مرشداً إلى اللهجات الحية للغة ما , وكان ظهوره مديناً للجدل والمناقشة بين النحاة واللغويين المحدثين في القرن التاسع عشر . وفي محاولاتهم لإثبات التنوع غير النهائي للغة , وعدم خضوع اللغة لمعايير محددة في تغيراتها الصوتية , أشار اللغويون المحدثون إلى تعدد اللهجات المحلية لبلاد مثل فرنسا وإيطاليا , وأخذوا على عاتقهم مهمة إثبات فكرتهم عن طريق عمل خرائط لهذه اللهجات . لكن حين قيل كل شيء وجرى تنفيذه لم يصل اللغويون إلى إثبات ما تعلق بموضوع خصامهم الأساسي أو نفيه , لأن كل لهجة يمكن أن تعرض بوصفها لغة مستقلة قائمة بذاتها , خاضعة لقوانينها الصوتية التي تخصها , وليست القوانين الصوتية التي تحكم اللغة الوطنية كلها[34]. ومنذ اللحظة الأولى أصبحت تلك الأطالس اللغوية أداة قوية في يد علم اللغة الوصفي يستعملها لصالحه , وقد ألقت ضوءً على الصيغ الحية للغة أي بلد , فضلاً عمَّا تحويه من خصائص لهجية متنوعة وقد ساعد هذا كثيراً علماء اللغة التاريخيين , بخاصة عند تحديد معالم التغيير التي جرت في الماضي حينما تكون الشواهد المطلوبة مفقودة أو غير كافية . وهذه الأطالس تمد علماء اللغة الجغرافيين بمعلومات مفيدة عن مراكز اللغات في العالم , وما يستعمل منها , وما يعتري أياً منها من تغيير أو استبدال في مناطق معينة . وإن اهتمام علماء الأطالس اللغوية بدراسة الظواهر اللغوية الحديثة المتكلمة , واستعمالهم التكنيك العملي الذي ينتقل إلى حقل التجربة يجعلهم أقرب إلى المجال الوصفي للغة من دون التاريخي أو الجغرافي[35].

من هذا يظهر لنا أن الاهتمام بالجغرافيا اللغوية يتزايد من آن إلى آخر , وأن من الواجب أن نأخذ بالحسبان إجراء مسح لغوي شامل للهجاتنا العربية , وما يستجد على أرضنا من تأثيرات وافدة , سواء في نطاق المفردات أو التراكيب , وذلك لملاحقة التطورات المستمرة في ميدان الدراسات اللغوية , وميدان نشر الوعي اللغوي على مساحات جديدة من الكرة الأرضية[36]. هذا من الناحية الحضارية , أمَّا من الناحية العلمية الخالصة , فإن وجود أطلس لغوي للهجات العربية سوف يكون أعظم خطوة , تسجل في واقع هذه الأمة للتاريخ , كذلك أنه سوف يزود الباحثين بأخصب مادة ليجروا بحوثهم انطلاقاً مما يقدم من إحصاءات , ويرسم من حدود , ويقدم من معلومات لا تتسنى للباحث الفرد, ولعله أن يسهم في وضع مشكلة التقريب بين اللهجات موضع الحسم , حين يفتح النوافذ على اتساعها بين اللهجات المتنوعة , فتتحول إلى لهجة موحدة مثقفة تتلاشى المسافة بينها وبين اللغة الفصحى الحديثة[37]. بدأت فكرة عمل الأطلس اللغوي , في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي , وكان رائدا هذا النوع من الدراسة , التي اعترف علماء اللغات بما لها من نفع في حل المشكلات اللغوية , هما : (فنكر) الألماني , و(جليرون) الفرنسي[38]. وقد قام كل واحد منهما بعمل أطلس لبلاده , ظهر أحدهما وهو الأطلس اللغوي لفرنسا بين عامي 1902-1910م , ولم يجر حتى الآن نشر الأطلس الألماني , وإن نشر جزء كبير منه , فقد نشرت الدفعة الأولى منه , وكانت مكونة من ست خرائط في عام 1881م , ومنذ عام 1926م , أخذت طباعة الخرائط تتوالى , على نطاق ضيق[39]. وقد انتقلت فكرة عمل الأطالس اللغوية , إلى بعض البلاد الأخرى , كإيطاليا, وسويسرا, والسويد , والنرويج , والبرتغال , وإنجلترا , أي أنها شملت أغلب بلاد أوربا , بل تعدتها إلى أمريكا, وبعض البلدان الشرقية[40]. والطريقة التي تُتَّبَعُ في عمل الأطلس اللغوي هو أن يُحَدَّدَ الإقليم الذي يُراد تعرُّف خصائص لغته , ثم تُنْتَخَبَ منه قرىً وبلاد يُلْحَظُ في كل منها أن تمثل إلى حد ما البيئة اللغوية التي توجد البلدة أو القرية فيها , وبعد ذلك يُختار من كل قرية أو بلدة راوٍ يُراعى فيه أن يكون من صميم أبناء البلدة التي يعيش فيها , وألاَّ يكون قد خرج منها ثم عاد إليها , وألاَّ يكون متأثراً بعوامل ثقافية تؤثر في لهجته , وأن يكون صريحاً صادقاً مخلصاً في إجابته , وألاَّ يكون عنده عيب نطقي ,

وأن يكون قادراً على فهم السؤال والتعبير عن نفسه , وعلى إدراك المراد[41]. وتكون ثمة أسئلة توجه إلى الراوي , تكون الإجابة عنها مشتملة على أبرز ما يجري على ألسنة الناس في حياتهم اليومية في تلك البلدة من كلام , ثم تُدَوَّنُ عنه على آلة التسجيل , أو تُكْتَبُ بطريقة الكتابة الصوتية , أو تستعمل الطريقتان معاً في المركز الرئيس لعمل الأطالس[42]. وبعد أن تُجْمَعَ الإجابات يبدأ الباحث بعمل خريطة لكل كلمة على حدة , وذلك بأن تفرغ صور اللفظ وصيغه ومترادفاته على خرائط تفصيلية تشتمل على بلاد الأقاليم جميعها , ثم تحدد عليها المناطق اللغوية المتنوعة , وبعد هذا ترسم الخريطة العامة في ضوء الخرائط التفصيلية, وتبين على هذه الخريطة العامة الحدود النهائية للمناطق اللغوية على وجه الإجمال[43]. والأطلس اللغوي يصبح بعد إتمامه مرجعاً للغوي , إذْ يزوده بالمعلومات التي يريدها بدلاً من الخروج بنفسه , ومحاولة الذهاب إلى الحقل اللغوي في المنطقة موضوع اهتمامه , وإن كان نزول اللغوي المباشر إلى الحقل اللغوي قد يصبح ضرورياً مع وجود الأطلس اللغوي حينما تواجهه مشكلات خاصة[44]. وهناك واحد من أبرز العيوب التي تقلل من قيمة الأطلس اللغوي , وهو أنه لا يثبت على مر الزمن ما دامت اللهجات المحلية تتغير , ربما بمرحلة أسرع من اللغة الوطنية . ولهذا فإنه في بعض الأحيان يعاد إجراء عملية المسح اللغوي بعد مرور سنوات متعددة , ويصبح من الممكن حينئذ عمل موازنة بين نتائج الأطلسين وتكوين صورة شبه تاريخية عن التغيرات المتشابكة في كلام مجتمع معين[45]. ويطلق مصطلح الجغرافيا اللغوية على الدراسات اللهجية المؤسسة على الأطلس اللغوي , وهذا اسم غير موفق , إذْ يجعل أغلب الناس غير المتخصصين يظنون أنه يعني توزيع اللغات في العالم , أو ما يسمونه بعلم اللغة الجغرافي[46].

الخاتمة :

سجلت أبرز ما أفضت إليه دراسة البحث من نتائج وخلاصات , وهي على النحو الآتي :

- المنهج الجغرافي كانت له إشارات سريعة ومبكرة في التراث اللغوي العربي, غير أن هذه الإشارات لم تبلغ في القوة والوضوح ما أسفر عنه التراث اللغوي العربي في المناهج الأخرى , كالمنهج الوصفي والمعيارية والمنهج التاريخي والمنهج التحويلي .
- إن توزيع اللغات المتكلمة في أنحاء العالم جميعها , وأنواع المتكلمين , بها يعد موضوعاً أساسياً في مفهوم علم اللغة الجغرافي , كذلك يعد أساسياً في المرحلة نفسها لبيان اللغات المتكلمة في كل قطر أو وحدة سياسية على حدة.
- هناك دراستان إحصائيتان تقوم كل منهما بعمل المراجعة والضبط للأخرى , إحداهما للغات وتوزيعها على المناطق والوحدات السياسية وأعداد المتكلمين بها, والأخرى للدول لبيان اللغات المستعملة في كل منطقة قومية على حدة, وعدد المتكلمين بكل لغة .
- إن الغربيين قد اطلعوا على جانب من تراثنا اللغوي , فتلقَّفوا الأفكار التي التمعت فيه وأنعموا النظر فيها , فأسَّسوا عليها مناهج البحث اللغوي , وصاغوها على الوجه الذي أخذناه عنهم في بداية النصف الثاني من القرن العشرين .
- بعض مصطلحات علم اللغة الجغرافي تتفق مع مصطلحات علم اللغة الوصفي أو التاريخي, فهناك مصطلحات كثيرة نادراً ما تستعمل في الأعمال اللغوية التقليدية .
- إن علم اللغة الجغرافي لم يتلق التأييد والعناية الكافيين , ولا سيما في عمل الأطالس اللغوية , على عكس علمي اللغة الوصفي والتاريخي اللذين كثرت الاهتمامات المنصبة على تخصصاتهما , مما جعلهما يعرضان الجانب اللغوي الجغرافي لعلم اللغة على أنه شيء له علاقة ضئيلة بهما .

الهوامش :

([1]) ينظر : في علم اللغة العام , د . عبد الصبور شاهين : 149
([2]) ينظر : مدخل إلى علم اللغة , د . محمد حسن عبد العزيز : 155
([3]) ينظر : مناهج البحث في اللغة : 37 .
([4]) ينظر : في علم اللغة العام , د . عبد الصبور شاهين : 149-150
([5]) ينظر : أسس علم اللغة : 63 .
([6]) ينظر : مدخل إلى علم اللغة , د . محمد حسن عبد العزيز : 157 .
([7]) ينظر : في علم اللغة العام , د . عبد الصبور شاهين : 150 .
([8]) ينظر : مباحث في علم اللغة واللسانيات : 31 .
([9]) ينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي , د . رمضان عبد التواب : 147 .
([10]) ينظر : مباحث في علم اللغة واللسانيات : 32 .
([11]) ينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي , د . رمضان عبد التواب : 148 .
([12]) ينظر : علم اللغة العام , دي سوسير : 40 .
([13]) ينظر : المصدر نفسه :214 .
([14]) ينظر : في علم اللغة العام , د . عبد الصبور شاهين : 151.
([15]) ينظر : المصدر نفسه : 152.
([16]) ينظر : أسس علم اللغة : 183 .
([17]) ينظر : المصدر نفسه : 183-184 .
([18]) ينظر : مدخل إلى علم اللغة , د . محمد حسن عبد العزيز : 155
([19]) ينظر : أسس علم اللغة : 37 .
([20]) ينظر : المصدر نفسه .
([21]) ينظر : مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : 219 – 220 .
([22]) ينظر : المصدر نفسه : 220-221 .
([23]) ينظر : المصدر نفسه : 221 .
([24]) ينظر : المصدر نفسه : 221-222
([25]) ينظر : المصدر نفسه : 222
([26]) ينظر : المصدر نفسه .
([27]) ينظر : المصدر نفسه : 222-223 ,
([28]) ينظر : المصدر نفسه : 223 .
([29]) ينظر : المصدر نفسه : 223-224 .
([30]) ينظر : المصدر نفسه : 224 .
([31]) ينظر : مدخل إلى علم اللغة , د . محمد حسن عبد العزيز : 162-163 .
([32]) ينظر : المصدر نفسه : 163 .
([33]) ينظر : أسس علم اللغة : 131 .
([34]) ينظر : المصدر نفسه : 132 .
([35]) ينظر : المصدر نفسه .
([36]) ينظر : في علم اللغة العام , د . عبد الصبور شاهين : 141 .

([37]) ينظر : المصدر نفسه : 142 .
([38]) ينظر : مدخل إلى علم اللغة , د . محمد حسن عبد العزيز : 164-165.
([39]) ينظر : المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي , د . رمضان عبد التواب : 151 .
([40]) ينظر : المصدر نفسه .
([41]) ينظر : الأطلس اللغوي : 383 .
([42]) ينظر : عن مناهج العمل في الأطالس اللغوية : 111 .
([43]) ينظر : الأطلس اللغوي : 381 – 382 .
([44]) ينظر : أسس علم اللغة : 133 .
([45]) ينظر : المصدر نفسه .
([46]) ينظر : المصدر نفسه : 134 .

المصادر :

1. أسس علم اللغة : تأليف : ماريوباي , ترجمة وتعليق : الدكتور أحمد مختار عمر , مطابع سجل العرب , نشر عالم الكتب , القاهرة , الطبعة الثالثة , 1408ه – 1987م .
2. الأطلس اللغوي : الدكتور خليل محمود عساكر , مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة , الجزء السابع , 1949م .
3. علم اللغة العام : فردينان دي سوسير , ترجمة : الدكتور يوئيل يوسف عزيز , مراجعة النص العربي : الدكتور مالك يوسف المطلبي , دار آفاق عربية للصحافة والنشر , بغداد , 1985م .
4. عن مناهج العمل في الأطالس اللغوية : الدكتور سعد مصلوح , مجلة كلية دار العلوم , جامعة القاهرة , العدد الخامس , 1976م .
5. في علم اللغة العام : الدكتور عبد الصبور شاهين , مؤسسة الرسالة , بيروت , الطبعة الثالثة , 1400ه-1980م .
6. مباحث في علم اللغة واللسانيات : الدكتور رشيد عبد الرحمن العبيدي , دار الشؤون الثقافية , بغداد , الطبعة الأولى , 2002م .
7. مدخل إلى علم اللغة : الدكتور محمد حسن عبد العزيز , دار النمر للطباعة , 1983م .
8. المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي : الدكتور رمضان عبد التواب , مطبعة المدني , نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة , الطبعة الثانية , 1405ه-1985م .
9. مناهج البحث اللغوي بين التراث والمعاصرة : الدكتور نعمة رحيم العزاوي , مطبعة المجمع العلمي , منشورات المجمع العلمي , بغداد , 1421ه-2001م.
10. مناهج البحث في اللغة : الدكتور تمام حسان , دار الثقافة للنشر والتوزيع , الدار البيضاء , 1407ه-1986م .

Sources:
1. Foundations of Linguistics: Written by: Mariupai, translation and commentary: Dr. Ahmed Mukhtar Omar, Sijl Al-Arab Press, Alam Al-Kutub Publishing, Cairo, third edition, 1408 A.H. - 1987 A.D.
2. Linguistic Atlas: Dr. Khalil Mahmoud Asaker, Journal of the Academy of the Arabic Language in Cairo, Part VII, 1949.
3. General Linguistics: Ferdinand de Saussure, translation: Dr. Yoel Youssef Aziz, revision of the Arabic text: Dr. Malik Youssef Al-Mutalibi, Arab Horizons House for Press and Publishing, Baghdad, 1985 AD.
4. On working methods in linguistic atlases: Dr. Saad Maslouh, Journal of the Faculty of Dar Al Uloom, Cairo University, No. 5, 1976 AD.
5. On General Linguistics: Dr. Abdel-Sabour Shaheen, Al-Resala Foundation, Beirut, third edition, 1400AH-1980AD.
6. Investigations in Linguistics and Linguistics: Dr. Rashid Abdul Rahman Al-Obaidi, House of Cultural Affairs, Baghdad, first edition, 2002 AD.
7. An Introduction to Linguistics: Dr. Muhammad Hassan Abdel Aziz, Dar El-Nimer for Printing, 1983 AD.
8. Introduction to Linguistics and Linguistic Research Methods: Dr. Ramadan Abdel-Tawab, Al-Madani Press, published by Al-Khanji Library in Cairo, second edition, 1405AH-1985AD.
9. Linguistic Research Methods between Heritage and Contemporaneity: Dr. Nima Rahim Al-Azzawi, The Scientific Council Press, The Scientific Council Publications, Baghdad, 1421 AH-2001 AD.
10.Research Methods in Language: Dr. Tammam Hassan, House of Culture for Publishing and Distribution, Casablanca, 1407 A.H.-1986 A.D.

Geographical Approach in the light of Modern Linguistics

Assistant Professor Dr. Oras Abdulhussein Abdullah
Al-Mustansiriya University
College of Basic Education / Islamic Education Department
aoras80@yahoo.com

Abstract :

There is no doubt that the linguistic research methods have become evident from the modern linguistic lesson. It necessitates that it becomes borrowed from the linguistic nature, and adapts the purpose that it sought for the purpose of study.

Among the sciences that arose from general linguistics, geographical linguistics arose, synthesizing it in the sciences of sociology, psychology, anatomy and all its analogues, which leads to the modernity of linguistic sciences and the sobriety of actual applied study. Because of abundant patterns of pressures, from here geographical linguistics was the subject of the study of this research entitled ((Geographical Approach in the light of Modern Linguistics)).

Key Words: Approach, Geographical, Linguistics